



الأصوات الموسومة بالبينية عند كمال بشر

The Marked Interstitial Sounds in Kamal Beshir

بوخاري خيرة¹

مختبر الدراسات المتعددة التخصصات في تعليم وتعلم اللغات

¹ جامعة غليزان (الجزائر)، kheira.boukhari@univ-relizane.dz

ملخص:

من القضايا المهمة التي أوردها كمال بشر في كتابه "علم الأصوات"، قضية الأصوات البينية، باعتبارها ظاهرة لافتة للنظر في الدرس الصوتي الحديث، ويعزى ذلك إلى الخلافات التي أثرت حولها في تراثنا العربي القديم، ولاسيما في تحديد ماهيتها، وأصواتها، وموقعيتها بين فئات الحروف العربية. نسعى في هذه الورقة البحثية، إلى تسليط الضوء على حقيقة صفة البينية عند العالم اللغوي "كمال بشر"، من حيث تعريفها وتحديد الأصوات الموسومة بها، وعلة تسميتها بذلك، إضافة إلى تقصي الأسانيد التي عرضها واستند إليها في مؤلفه لتقديم رؤية علمية تتماشى مع نتائج الطرح الفونتيكي الحديث تسهم في تحديد فهمنا لحقيقة الصوت اللغوي. كلمات مفتاحية: الأصوات اللغوية، الأصوات البينية، كمال بشر

Summary:

One of the important issues that Kamal Beshir discusses in his book "Phonetics" is the phenomenon of interstitial sounds, which stands out in modern phonetic studies. This is attributed to the controversies surrounding it in our ancient Arabic heritage, particularly regarding its nature, its sounds, and its position among the categories of Arabic letters. In this research paper, we aim to shed light on the reality of the interstitial property according to the linguist Kamal Beshir, in terms of its definition, the sounds associated with it, and the reason for its naming. Additionally, we will examine the references he presented and relied upon in his work to

provide a scientific perspective that aligns with the results of modern phonetic discussions, contributing to our understanding of the nature of linguistic sound.

Keywords: Linguistic Sounds; Interstitial Sounds; Kamal Beshir

1. مقدمة :

تعد الدراسات الصوتية من أهم مجالات البحث اللساني الحديث، نظرا لما لها من دور محوري في الكشف عن البنية اللغوية ووظيفتها في تحقيق التواصل بين المتكلمين بها. وقد حظيت الحروف العربية باهتمام كبير من قبل علماء اللغة القدامى والمحدثين، ويمثل "كمال بشر" أحد أعلام الدرس اللساني الحديث بوجه عام، والدرس الصوتي بوجه خاص الذين قدموا جهودا جبارة، ومساعي حثيثة في مجال اللغة والصوت على حد سواء، ومن المسائل الصوتية المهمة التي خاض الحديث فيها، قضية "الأصوات البينية"، التي ركن فيها إلى الجمع بين آراء المتقدمين من السلف والمحدثين، والمعايير الصوتية المعاصرة.

وفي هذا السياق العلمي، تعرض هذه الدراسة مسألة "البينية" في الدرس الصوتي العربي، بشكل عام والأصوات البينية من خلال مدونة "علم الأصوات" لكمال بشر على وجه التحديد، محاولة الوقوف على ماهية هذه الخاصية الصوتية، فرغم الجهود والدراسات التي عالجت هذه المسألة في لغتنا العربية، إلا أن هذه الأصوات البينية كانت ولا زالت موضع أخذ ورد بين القدامى والمحدثين، من حيث تعريفها وأصواتها وخصائصها وعلة تصنيفها في نظام الأصوات العربية، من هنا حاول كمال بشر تقديم طرح مخالف لمن سبقه ولمعاصريه لهذه الخاصية، إلا أن هذا التصور ما زال بحاجة إلى دراسة وتحليل، ليمرر قيمته وأثره في تطوير البحث الصوتي.

من هنا، جاءت هذه الورقة البحثية لمقاربة ظاهرة البينية في أصوات العربية، والوقوف على جوهرها وأصواتها، وآراء العلماء حولها، مما يحتم علينا طرح جملة من التساؤلات، نجملها فيما يلي:

ما هي حقيقة صفة البينية عند كمال بشر؟ أو بصيغة أخرى ما هي الأصوات التي يتحقق فيها معيار البينية من وجهة نظر كمال بشر؟ وما العلة في تسميتها بذلك؟ وما موقع رأيه ضمن آراء المتقدمين والمتأخرين من أهل الاختصاص؟ وما مدى تساوق هذا التصنيف مع المعايير الصوتية التراثية والحديثة على حد سواء؟

كما يهدف هذا البحث إلى تناول الأصوات الموسومة بالبينية في ضوء التصور الذي طرحه بشر في كتابه، وذلك من خلال الوقوف على ماهيتها، وأصولها في الدرس اللغوي القديم، ومكانتها في الدراسات الفونتيكية المعاصرة. معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي المستند إلى آلية التحليل والاستقصاء لتلك الرؤى والأسانيد النظرية التي سنّها المتقدمون في تراثنا العربي، والمتخصصون في هذا المجال، بغية الإحاطة بجوانب الموضوع المختلفة وتفاصيله الدقيقة، والإجابة عن تلك الإشكالات والتساؤلات التي أثارها هذه الدراسة.

وتتجلى قيمة هذه الدراسة، في كونها تعالج جانباً صوتياً دقيقاً من جوانب اللغة العربية ما زال بحاجة كبيرة إلى دراسة وتحليل معمقين، وهو فئة "الأصوات البينية" كما صاغها كمال بشر في مؤلفه، وتعد هذه الدراسة إضافة ومساهمة فاعلة في رصد الجهود الصوتية العربية وتحليلها في ضوء النظريات الفونتيكية الحديثة، وتفعيل وشائج التواصل بين الجهود التراثية والأبحاث المعاصرة في هذا الميدان، بالإضافة إلى فك مغاليقه وتوسيع آفاق البحث في جوانبه الصوتية التي تمثل مرتكزا أساسيا من مرتكزات الدرس اللساني الحديث.

2. ماهية البينية في الدرس اللغوي العربي:

2.1 لغة:

للقوف على معاني البينية في لغتنا، كان لزاماً علينا الاستناد إلى المعاجم المتخصصة، بوصفها المرجع الأساس في فهم دلالة الألفاظ، واستقصاء جذورها، فنجد أن "البن" معناه الفصل، ومنه قولهم: "بان الشيء"، أي انفصل، و"بين الشئين" ما يفصل بينهما، وهذا ما يبين عنه الجذر (ب ي ن)، في "المعجم الوسيط"، حيث نجد أن « بين: ظرف مهم، لا يتبين معناه إلا بإضافته إلى اثنين فصاعداً، كقولك: جلست بين محمد وعلي، أو ما يقوم مقام ذلك، كقوله تعالى: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة، 68]؛ ... (بين بين): مركب مبني على فتح الجزأين، بمعنى التوسط بين الشئين، يقال: هذا الشئ ليس بجيد ولا برديء، ولكنه بين بين»¹، أي الحالة الوسطى بينهما، أو الفاصلة بينهما.

ولعل أدق تعريف للبينية أو لوصفها في الحروف العربية عند أسلافنا القدامى، هو ما قدمه الزمخشري (ت538هـ) في قوله: « والكون بين الشدة والرخاوة أن لا يتم لصوته

الانحصار ولا الجري، كوقفك على العين، وإحساسك في صورتها تشبه الانسلاخ من مخرجها إلى مخرج الحاء»²، ويقابله عند المرعشي (ت1150هـ) قوله: «وأما التوسط بين الشدة والرخاوة فهو عدم كمال احتباس الصوت وعدم كمال جريه»³، وما يفهم من كلام المرعشي عند توضيحه لطبيعة الحروف المتوسطة، أن الصوت لا ينحبس معها بشكل تام كما هو الحال مع الشديدة (ط، ق، د)، ولا ينساب تماما كما هو ملاحظ مع (س، خ، ف)، وغيرها، وإنما يمر بكيفية جزئية أو ضئيلة، أي لها طبيعة وسطية هوائية أو نفسية، وهذا هو ملمح (العين) وهو عدم اكتمال الاحتباس ولا تمام جري النفس وامتداده.

وفي العصر الحديث نجد عبد العزيز الصيغ يوضح آلية حدوث هذه السمة بأن «يحدث اتصال بين عضوي النطق، كما هو الحال في الأصوات الشديدة، إلا أن الصوت يجري في مجاري أخرى، فيكتسب الصوت صفة الرخاوة أيضا»⁴، وهنا تفسير فيزيولوجي علمي دقيق يبين الكيفية التي يحدث بها التوسط الذي يشتهه بالبينية إلى حد ما.

إن هذا التوافق بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي ههنا، ينم عن أصالة المصطلح في تراثنا العربي، ويعزز مشروعيته أو مصداقية توظيفه - إلى حد ما - في التوصيف الفونيني الحديث بشكل عام، وعند كمال بشر بشكل خاص، وهذا ما ستبين عنه المباحث التالية.

2.2 أصالة مصطلح البينية في الدرس العربي القديم:

إن علماءنا لم يغفلوا هذه الخاصية التي تنسم بها بعض حروف العربية، كما يتراءى لبعض المتأخرين، بل قد بسطوا الحديث حولها، وبينوا وجه استعمالاتها في أسئلة مختلفة، وتعود الأصول الأولى لهذا المصطلح إلى القرن الثاني للهجرة، وأول من أشار إليه سيبويه (ت180هـ) في "الكتاب"، وذلك في سياق حديثه عن الأصوات الشديدة والرخوة وما يقع بينهما بشكل عام، وأثناء حديثه عن صوت "العين" بشكل خاص.

وقمين بنا الإشارة ههنا، أن سيبويه لم يصرح بمطلق اللفظ "البينية"، وإنما بما يحيل عليه، ودليل ذلك قوله: «وأما العين فبين الرخوة والشدة، تصل إلى التردد فيها لشبهها بالحاء»⁵، فكلمة "بين" هي الدالة على سمة البينية، بمعنى تقع موقعا وسطا بين الحروف الشديدة والرخوة. ولعل السائل يسأل ههنا، لماذا صنف سيبويه "العين" بينهما؟ ما العلة في ذلك؟

فعلامة صوت العين البيني، أنه لا يتم فيه الانحباس التام للنفس (التضييق)، ولا جريانه وامتداده كما في الرخو، ولهذا فهو أخذ موقعا معتدلا بينهما، وبناء عليه نُعت بذلك "البين" أو الاعتدال والتوسط في جانبه الفيزيولوجي النطقي، ولعل هذا ما يفصح عنه المبرد (ت285هـ) في معرض حديثه عنها في قوله: «وهذه الحروف التي تعترض بين الرخوة والشديدة هي شديدة في الأصل، وإنما يجري فيها النَّفَس؛ لاستعانتها بصوت ما جاورها من الرخوة، كالعين التي يستعين المتكلم عند اللفظة بها بصوت الحاء، والتي يجري فيها الصوت، لانحرافها، واتصالها»⁶، وقوله هنا: الحروف بالجمع؛ يحيلنا إلى أنه لم ينحصر التوسط عنده على العين فقط، وإنما هناك أصوات أخرى تتسم به.

ومن خلال هذا الطرح، يتبين لنا أن القدامى ولا سيما سيبويه أدركوا بحسبهم المهرّف وذوقهم الفطري طبيعة صوت العين الحلقى الفيزيولوجية، وميكانيكيته النطقية التي تميزه عن سائر الحروف الحلقية إلى حد يعسر معه تحديد مخرجه؛ لأن الحلق يعد من المناطق الأكثر تشابكا وتعقيدا عضويا، بحيث يتداخل مع صوت آخر هو "الحاء"، ولولا بحة في الحاء لما فُرق بينهما من حيث النطق والسمع، ولعل هذا ما دعا سيبويه يصنّفه في خانة لوحده هي البينية.

لقد أخذ العلماء - من بعده - هذا الملمح الفيزيولوجي كما وضعه، واختلفوا حوله، وخصوصا في الحروف التي يتحقق فيها هذا المعيار بشكل خاص، فتباينت آراؤهم بين تابع له ومخالف، وهذا ما حاول كمال بشر الخوض فيه في مؤلفه، فمنهم من جعلها خمسة كابن الجزري (ت833هـ)، وهي: "اللام، والنون، والعين، والراء، والميم، وفي أحيان أخرى يجعلها أربعة، بعد ترده في صوت الراء"⁷، وهي عند ابن جني (ت392هـ) ثمانية، حيث يقول: «والحروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية... وهي الألف والعين والياء واللام والنون والراء»⁸. أما المحدثون، فأغلبهم رفضوا هذه الفكرة، وعلى رأسهم تمام حسان الذي علل رفضه لهذا المذهب في قوله: «لقد عد النحاة العرب صوت العين من الأصوات المتوسطة، وربما كان ذلك لعدم وضوح الاحتكاك في نطقها وضوحا سمعيا، ولكن الأصوات المتوسطة تشترك جميعها في خصائص ليست موجودة في نطق "العين"، وأوضح هذه الخصائص حرية مرور الهواء في المجرى الأنفي أو المجرى الفموي دون سد طريقه أو عرقلة سيره بالتضييق عند

نقطة ما، وقد اتضح بصورة الأشعة أن في نطق العين تضيقا كبيرا للحلق»⁹، وهذا ما ينفي عنه هذه السمة ليصبح رخوا في منظور المحدثين، وعلى رأسهم كمال بشر، وهذا ما سيأتي تفصيله بعناية.

3. الأصوات الموسومة بالبيئة لدى كمال بشر:

سلك عالما-بشر- منحنى مغايرا تماما عمن سبقه من القدامى وبعض معاصريه في تناول هذه الخاصية الصوتية، ولعل هذا ما يكشف عنه تصريحه المباشر في مؤلفه: «أما نحن فلنا رأي آخر في تفسير هذا المصطلح، وإن كنا نتفق في جملة ما قرروه بالنسبة للخواص المقررة لهذه الأصوات الأربعة، هذه الخواص تسوغ لنا تفسير التوسط بواحد من اثنين؛ الأول: حسابان هذه الأصوات متوسطة، بمعنى أنها تشكل قسما ثالثا من الأصوات الصامتة consonants، وهو قسم مستقل عن الشديدة والرخوة كليهما، ذلك لأن الخواص النطقية لهذا القسم -وإن كان بعضها يوحي بشبه نوع ما لبعض أصوات القسمين الآخرين- تمثل كلا متكاملا أو بنية نطقية متكاملة تميز هذا الأصوات من غيرها وتحيلها ضربا مستقلا بنفسه»¹⁰، مما يعني أن ملمح التوسط والاعتدال أقر به كمال بشر في هذه الصوامت الأربعة (لم نر) وعلة ذلك تميزها بخاصية عن غيرها من الحروف العربية، لكن الخلاف في موقعية هذه التوسطية أو البينية (adjective betweenness)؛ مما يجعلها مميزة في سماتها، بحيث تغدو بذلك فئة متكاملة تشكل قسما لوحده. لا ينحصر بين الشديدة والرخوة، وإنما بين قسمي الصوامت والصوائت، وهذا ما يؤكد قوله في التفسير الثاني الذي قدمه لهذه الخاصية: «وإنما بين الأصوات الصامتة جميعا (الشديدة والرخوة) والحركات، فهذه الأصوات الأربعة ما زالت من الصوامت consonants بحكم المعايير الأساسية للتصنيف، ولكنها في الوقت نفسه ذات شبه كبير ونسب قريب بالحركات من الناحيتين النطقية والسمعية»¹¹.

من خلال ما تم طرحه من أسانيد قولية في هذا السياق، يتبدى لنا أن تحديد خاصية البينية التي ترسخت في ذهن عالما؛ هي أن الصوت المنعوت بها؛ النَّقْس معه ينحبس في موضعه أو يقف عند موضع حدوثه، لكنه يتراجع عنه ليجد لنفسه منفذا أو مخرجا مغايرا يتسرب منه، وهذا ما تتسم به الصوامت الأربعة (لم نر) عنده.

فالأصوات البينية بناء على التوصيف "البشري" ههنا، امتاحت سمة الاعتدال بين الشديدة والرخوة من الآلية النطقية الفيزيولوجية لهما معا؛ بحيث تتشكل بانسداد مجرى النفس في مكان حدوثه في الجهاز النطقي، لكن دون منع مرور الهواء بشكل تام، إذ يتسرب جزء منه عبر مسار بديل، إما عبر التجويف الخيشومي على نحو ما يحدث مع صوتي "الميم والنون"، أو عبر ضربات اللسان ومثاله صوت "الراء التكريري"، أو من جانبي اللسان، مثلما هو الحال مع "اللام الجانبي".

عطفا على ما سبق، فهي تتحد جميعا في خصائص فريدة ليست موجودة في آلية نطق الصوامت العربية المتبقية، وهي دوام الغلق في نقطة الارتكاز أو الالتقاء بين عضوي النطق مع مرور الهواء وتسربه من منفذ مخالف، إما من جانبي المجرى الفموي، أو الخياشيم، وهذا مخالف تماما لصوت العين، الذي يكون معه تضيق كبير في وسط الحلق، مما جعل أغلب المحدثين، وعلى رأسهم كمال بشر احتسابها من الأصوات الرخوة (الاحتكاكية) لا المتوسطة، وذلك باستلهاهم دقة الصوتيات الحديثة والاعتماد على الأجهزة المتخصصة كصور الأشعة.

من هنا جعلها كمال بشر، وسط أو بين الحركات و الحروف الصالح (الصوامت)، أو كما نعتها هو "أشباه الحركات" "Vowel-like consonants"، وهذا ما يفضي بنا إلى توضيح المعيار الذي ركن إليه المحدثون في التفريق بين الصوامت والصوائت.

4. معايير التفريق بين الصوامت والمصوائت:

استند علماء الأصوات المحدثون إلى معيارين اثنين في تصنيف الأصوات العربية إلى قسميهما المشهور "الصوائت" consonants "والصوائت" vowels.

أولهما: وضع الوترين الصوتيين.

ثانيهما: طبيعة مرور الهواء في الجهاز النطقي مروراً بالحلق والفم والأنف عند النطق بهذه الأصوات.

وبناء عليه، تتميز المصوائت بحرية انسياب الهواء معها دون أي عائق يعيق حريتها ومرورها في تجاويف الحلق والفم، مع تردد الوتران الصوتيان عند النطق بها، في حين تتسم السواكن باعتراض النفس في مواضع حدوثها، ويكون إما اعتراضا كلياً كما في الباء والذال

والتاء، أو اعتراضاً جزئياً مثلما هو الحال مع السين والشين والهاء وغيرها، فهنا تركيز على قفل ممر النفس من عدمه، وإلى جانب ذلك، نجد أن الحركات تتسم بمطلق الجهر على عكس الحروف فهي ما بين جهر وهمس، وهذا من الناحية الفيزيولوجية والفيزيائية¹². أما من الناحية السمعية، فكشفت الدراسات الصوتية الحديثة أن الصوائت أكثر وضوحاً في السمع (Sonority) من الصوامت، ويعزى ذلك إلى أنها تعتمد على العلو والمد الكمي، أو كما سماه ابن جني بمطل الحركات.

من خلال هذا الطرح، نلمس جانباً من الالتقاء بين هذا التوصيف الخلافي بين الصوامت والحركات، وبين التسمية التي وضعها بشر "أشباه الحركات" للأصوات الأربعة "لم نر"، فمكمن المشابهة بينهما هو عدم انحباس الهواء ومروره بحرية، والوضوح السمعي في كل منهما، إلا أن الفرق بينهما يتمثل في أن المصوتات لا تغير اتجاهها حتى تنطلق من موقعها المخرجي، على غير "الأصوات الأربعة البينية الشبيهة بها تتراجع عند نقطة الاعتراض لتجد لنفسها مخرجاً تغادر منه موضعها في الجهاز النطقي مبقية على آلية الإقفال أو الاعتماد كما يسميها سيبويه ليمنحها القوة والوضوح في السماع.

إن وجه المشابهة هذا عند كمال بشر، على درجة كبيرة من الصحة والقبول من الناحية الفونتيكية، إلا أن الإشكال في التسمية "أشباه الحركات"، وهذا ما جعل بعض المعاصرين ينتقده، مثل عبد العزيز الصيغ الذي أطلق عليها "أشباه الصوامت"، بينما سماها تمام حسان "الأصوات المستمرة" بإضافة الياء والياء إليها، في حين فضل إبراهيم أنيس وغيره نعتها بـ "الأصوات المائعة" liquids اقتداءً بالغربيين كجان كانتينو (Jean cantineau) وغيرهم.

وجدير بنا الإشارة في هذا السياق، إلى أن وصف البينية لم يقتصر عند "بشر" على هذه الأصوات فحسب، وإنما تعداها إلى أصوات أخرى، وذلك في معرض حديثه عن صفتي التفخيم والترقيق، وهنا نطرح التساؤل الآتي: ما هي هذه الأصوات؟ وما علة وسمه لها بالبينية أيضاً؟

بعد مراجعة وتفحص لآراء بشر في مؤلفه، نلفيه يذكر صفة البينية مع أصوات خلاف لما سبق ذكره، وذلك في سياق حديثه عن التفخيم والترقيق، حيث يصرح قائلاً: وإنما «هي أصوات لها حالات من التفخيم والترقيق، أو قل -إن تفخيمها مكتسب مشروط،

تكتسب تفخيمها من السياق الذي تقع فيه، وهذا الاكتساب أيضا مشروط في حدود خاصة. هذه الأصوات هي: القاف والغين والخاء»¹³، وهذا يحيلنا إلى أن هذه الفئة من الصوامت تتوسط بين خاصتي التفخيم والترقيق؛ ويرجع ذلك إلى ما تؤديه من لبس في المعنى إذا حادت عن موقعها نحو إحدى هاتين السمتين، رغم أنها ليس لها نظائر مرققة أو مفخمة تشتبه بها، ولكن من وجهة نظر بشر في احتكامه إلى قوانين فونولوجيا التشكيل الصوتي العربي، أن «هذا الترقيق (وهو خطأ) يُذهب بخاصة من أهم خواص هذه الأصوات، ويشكل نقصا وتجاوزا ملحوظا في النظام الصوتي للغة، وهو أمر غير مقبول في إطار التعامل بالعربية الفصيحة. إن الاحتفاظ بتفخيم هذه الأصوات (في مواقعه) لا يعني بحال الميل إلى التكلف في نطقها كما يظن بعضهم، ولا نزوعا إلى اصطناع تغليظها، إنه... أمانة الثقافة العربية الصحيحة والجدة في التعامل مع اللغة القومية»¹⁴، لضبط إطار نطقها الصحيح في المجتمع الناطق بها.

فهذه الصوامت البينية الثلاث (القاف والغين والخاء)، تتساوق مع السياق الذي تقع فيه بشروط حددها العلماء ومن تبعهم -ومنهم بشر- وضبطوها بضابط الفتح والضم (قصير/طويل) بعدها لتفخيمها، على نحو قولهم: قتل قاتل، خدع خادع، غلب غالب، وقُل يقول، يبلغ يبلغون، يأخذ يخون، وبكسر (قصير/طويل) بعدها، ومثال ذلك: بقي قيل، غلَّ غيد، خِفَّة نخيل¹⁵، وهكذا أصبحت بينية؛ لأنها لا تثبت لا على تفخيم ولا ترقيق دائم، وإنما هي في حالة وسطى بينهما على حسب ما يتلوها من حركات في نسق اللفظ التي تقع فيه.

وهنا موضع السؤال: لماذا أطلق كمال بشر سمة البينية على فئتين من الأصوات "لم نر" و"الغين والخاء والقاف"؟ ما السمة الجامعة بين هاتين المجموعتين؟ هل تعود إلى الملمح الفيزيولوجي أم إلى البعد الفيزيائي النفسي؟

وجوابه في نظرنا-والله أعلم- إن السمة الجامعة بين هاتين الفئتين من الصوامت اللتين وصفنا بالبينية عند كمال بشر، هو وقوع الاعتدال فيها بين هئتين أو حالتين من الحالات، أما الفاصل بينهما فيكمن في موقعية هذا التوسط أو البينية بمفهوم القدامى، ففي "أشباه الحركات لم نر"، يقع بين الصوامت برمتها والحركات، أما في المجموعة الثانية "خ، ق، غ" فبين

التفخيم والترقيق، فالأولى ذات ملمح فيزيولوجي، أما المجموعة الثانية فذات خاصية فيزيائية فارقة أو سمة تمييزية، أو ما يرتبط في التحليل الفونولوجي بالتنوع الألوفوني المقيد بالسياق. 5. خاتمة:

يعود أصل مصطلح "البينية" في تراثنا العربي إلى سيبويه الذي تحدث عنها في سياق كلامه عن الصفات الثانوية الشدة والرخاوة، وما بينهما، فجعلها مقصورة على صوت واحد هو صوت "العين"، إدراكا منه أن هذا الأخير يتميز في نطقه بآلية فيزيولوجية مخالفة تماما للصوامت الأخرى، أما من جاؤوا بعده فاختلفوا حول الأصوات التي تنسم بهذه الخاصية، فمنهم من جعلها خمسة كابن الجزري، وهي "اللام والنون والعين والميم والراء، وأحيانا يصيرها أربعة بعد ترده حول صوت الراء، إدراكا منه أنه يختلف بسبب ضرباته التكرارية على سقف الحنك الأعلى، أما ابن جني ومن تبعه فجعلوها ثمانية بإضافة الواو والياء والألف إليها. وبهذا نستنتج، أنهم أجمعوا كلهم على أن العين صوتا بينيا في حين نجد المحدثين قد أخرجوه من هذه الفئة ليجعلوه رخوا بالاتفاق.

إن مصطلح البينية عند القدامى عني به -بصفة عامة- عدم اكتمال الاحتباس ولا اكتمال الجري أو امتداد الصوت؛ أي بين بين، في حين ينصرف عند المحدثين وعلى رأسهم كمال بشر إلى توسطه بين الحروف الصحيحة جملة والحركات، وبين الأصوات المفخمة والمرققة بشكل دائم.

إن اهتمام كمال بشر بهذه المسألة، يبين عن حرصه الشديد على التوفيق بين التراث الصوتي العربي والمناهج اللسانية الحديثة، وتقديم رؤية علمية فاحصة تتناسب مع واقع اللغة المنطوق بالفعل، وتسهم في تحديد الفهم الصحيح للصوت الإنساني من منظور فونتيكي محض.

عد كمال بشر الأصوات البينة "لم نر" حلقة وسطى بين الحركات والسواكن، مستوحيا هذه التسمية من القدامى (سيبويه ومن تبعه)، لينزاح عنده عن معناه الأصلي إلى معنى مغاير، وهو المشابهة بالحركات من حيث اتساع المجرى الهوائي معها وحرية الانسياب. لم تقف صفة البينية عنده على هذه الأصوات المشتبهة بالحركات في موقعها الوسطي، وإنما تجاوزتها إلى أصوات أخرى تنسم بهذه الخاصية الوسطية لكن بين الأصوات

المفخمة والمرققة بشكل دائم؛ بمعنى أن البينية هنا هي صفة لتلك الصوامت التي تفخم وترقق ضمن سياق مشروط (ق/خ/غ)، وقد وضحه القدامى في أبحاثهم ونهج بشر نفس نهجهم في ذلك، حيث ربطها بما يلحقها من تشكيل صوتي بين فتح وضم وكسر. يتبين لنا مما سبق طرحه، أن البينية كما وضحها بشر في كتابه، تعني التوسط والاعتدال بين الحروف والحركات من الناحية العضوية والنطقية وأصواتها هي: اللام والميم والنون والراء هذا من جهة، كما تعني من جهة أخرى الوسطية بين التفخيم والترقيق الدائمين، أي تطلق على الأصوات الثلاث (القاف والغين والخاء) التي تجمع بين حالتي التفخيم والترقيق المحددتين بشروط، فهو تناول هذه الخاصية باعتبار أنها تمثل أصواتا لا تنتمي بشكل قاطع إلى زمرة واحدة من السمات، وإنما تقع بين خاصيتين أو تجمع بينهما إن صح القول.

6. مراجع البحث وإحالاته:

- ¹ -مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط3، 1405هـ/1985م، ج1، ص83.
- ² --أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في العربية، دراسة وتحقيق، فخر صالح قدارة، دار عمار، الأردن، ط1، 1425هـ/2004م، ص421.
- ³ -- محمد بن أبي بكر المرعشي، جهد المقل، دراسة وتحقيق، سالم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 1429هـ/2008م، ص68.
- ⁴ -عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1424هـ/2000م، ص128.
- ⁵ - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه: الكتاب، تح وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي، الرياض، ط2، 1402هـ/1982م، ج4، ص435.
- ⁶ -أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تح: عبد الخالق عزيمة، مطبعة الأهرام التجارية، القاهرة، (د.ط)، 1415هـ/1994م، ج1، ص332.
- ⁷ -ينظر، أبو الخير محمد بن علي بن يوسف الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، (د.ط) و(د.ت)، ج1، ص202.
- ⁸ - أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: حسن هنداي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 1413هـ/1993م، ج1، ص61.

- ⁹ - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د.ط)، 1990م، ص102.
- ¹⁰ - كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2000، ص358/357.
- ¹¹ - كمال بشر، المصدر نفسه، ص358.
- ¹² - ينظر، المصدر نفسه، ص151 وما بعدها، و عبد العزيز أحمد علام وعبد الله ربيع محمود، علم الصوتيات، مكتبة الرشد، ناشرون(د.ط)، 2009/1430م، ص181 وما بعدها.
- ¹³ - كمال بشر، علم الأصوات، ص400.
- ¹⁴ - المصدر نفسه، ص401.
- ¹⁵ - ينظر، المصدر نفسه، ص400.
7. قائمة مراجع البحث:
- أبو الخير محمد بن علي بن يوسف الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، (د.ط) و(د.ت)
- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تح: عبد الخالق عزيمة، مطبعة الأهرام التجارية، القاهرة، (د.ط) 1415هـ/1994م.
- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه: الكتاب، تح وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي، الرياض، ط2، 1402هـ/1982م.
- أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: حسن هندراوي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 1413هـ/1993م.
- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في العربية، دراسة وتحقيق، فخر صالح قدارة، دار عمار، الأردن، ط1، 1425هـ/2004م.
- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د.ط)، 1990م.
- عبد العزيز أحمد علام وعبد الله ربيع محمود، علم الصوتيات، مكتبة الرشد، ناشرون(د.ط)، 2009/1430م.
- عبد العزيز الصبيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1، 1424هـ/2000م.
- كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2000م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط3، 1405هـ/1985م.
- محمد بن أبي بكر المرعشي، جهد المقل، دراسة وتحقيق، سالم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 1429هـ/2008م.